

اثر التدين في تحقيق التوافق الزوجي

أ.بقادة فاطمة إكرام

قسم علم الاجتماع و الديموغرافيا

جامعة الجزائر 2

ملخص الدراسة:

أفرزت التيارات الإسلامية بمختلف اتجاهاتها وانتماءاتها المذهبية والحركية مفهوما للتدين كان له آثارا متعددة على العلاقات الأسرية خاصة تلك القائمة بين الزوجين، ترويج إيديولوجي وانغلاق طائفي وفتوى مصلحية شاملة لكلّ مناحي الحياة. وقبل التطرق إلى هاته الآثار لابدّ من التطرق إلى حقيقة الدين في كلّ أطره وأبعاده التصورية، وكذا التطرق إلى معنى التدين في كلّ أشكاله ومظاهره ونظرتة للعلاقة الزوجية وكذا أساليبه في حلّ الخلافات الزوجية من أجل الحفاظ على أواصر هاته العلاقة واستمرارها.

الكلمات المفتاحية :

أثر التدين؛ التوافق الزوجي؛ التيارات الإسلامية؛ العلاقات الزوجية.

مقدمة:

إنّ مصطلح الدّين لا يمكن تحديده تحديدا دقيقا نظرا لاختلافه لدى كلّ من المجتمعات البدائية والمجتمعات التي تعتنق الديانات السّماوية، ولاختلاف طبيعته من شخص لآخر، وفي كلّ مراحل حيّاته. ففي كلّ مرحلة من العمر يختلف تأثير الدين فيها عن غيرها من المراحل، ففي مرحلة الشباب يلعب دورا هاما ومرشدا فإمّا أن يكون الفرد ملتزما لدينه و متمسكا بعقيدته وإمّا أن يكون غير ذلك، وفي المرحلة الثانية عندما يبلغ الفرد أشده وهي مرحلة النضوج، كما جاء في قوله تعالى: "حتى إذا بلغ أشده وبلغ الأربعين سنة قال ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي" ¹، هنا يكون الدين ضابطا لسلوك الأفراد وتصرفاتهم وإحساساتهم، ثم تأتي مرحلة الشيخوخة وهي ما تعرف بمرحلة الزهد حيث يتجرد طائعا لعبادته وقد أُمن له من يقوم بشؤونه وبذلك فإن الفرد مرتبط في كلّ مجتمع بالسلوك الديني الذي يسود فيه وهو عاملا هاما في حياة الإنسان عندما يحس بأن هناك قوة عليا تؤثر فيه وفي وجدانه وسلوكه عامة.

أولاً: المعنى اللّغوي لمفهوم الدين:

أ - التعريف في اللغة العربية :

كلمة "الدين" في اللّغة العربية ترد بعدة معاني، فأحيانا ترد بفعل متعد بنفسه (دانه يدينه) وتارة بفعل متعد باللام (دان له) وتارة بفعل متعد بالباء (دان به)، والمعنى يختلف من صيغة إلى أخرى، بحيث إذا وردت بصيغة "دانه دينا" ¹ يعني ملكه، وحكمه وساسه ودبره وقهره، وحاسبه وقضى في شأنه، وجازاه وكافأه. ² فالدين في هذا الاستعمال يدور حول معنى الملك والتصرف وهو من شأن الملوك والأمراء، ومن السياسة والتدبير والحكم، والقهر والحاسبة والجزاء.

¹ سورة الأحقاف، (آية 15).

² آبادي (الفيروز)، مجد الدين، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1998، ص1198.

وإذا ورد بصيغة "دان له" يعني أطاعه وخضع له ومنه "الدين لله" أي الخضوع له سبحانه وتعالى وإذا ورد بصيغة "دان بالشيء" يعني اتخذه ديناً ومذهباً واعتقده، فالدين بهذا المعنى هو المذهب أو الطريقة أو العقيدة وبالتالي فإن المعاني الثلاثة تلتقي في معنى مشترك لكلمة دين في اللغة وهو الانقياد والخضوع¹.

ويرى "محمد عبد الله دراز" بعد مراجعة المعاجم وجد أنه يشوبها الغموض والخلط، فقد يقال عن الدين ما يدان به أو يقال أن الدين هو الله، فالدين هو الملك والخدمة والتذلل والخضوع والطاعة والمعصية... إلخ، ولكنه وجد في هذه التعريفات تناقض وتباعد، لهذا أعطى تعريف لمعاني الدين التي يمكن ردها إلى متلازمة، حيث أن الدين ليس كلمة واحدة بل يحتوي على ثلاث كلمات أو استخدامات الأول الإلزام والانقياد والثاني الانقياد والالتزام، والثالث هو المبدأ الذي يلزم الانقياد له².

ب - تعريف الدين في اللغتين الفرنسية والإنجليزية:

تعددت مناحي لفظية الدين بين المعاجم والفكر، فنجد كلمة دين Religion مشتقة أساساً من اللغة اللاتينية، وقد اختلف العلماء والباحثون في تحديد الأصل الذي ترجع إليه ، فمنهم من يرى أن كلمة Religion ترجع إلى الفعل اللاتيني religere الذي يعني العبادة القائمة على الخشوع والزهد و الاحترام والخشية. أمثال " روجيه باستيد"³ ومنهم كذلك من يرى أنه "مجموعة معتقدات تؤمن بها جماعة ما وتكون نظاماً متصلاً وتتعلق في الغالب بمعالم ما بعد الطبيعة، وممارسة شعائر وطقوس مقدسة، والاعتقاد في قوة روحية عليا، ويقال دين طبيعي

¹ نفس المرجع، ص. 1198.

² بيومي (محمد أحمد)، علم الاجتماع الديني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 173/ 174.

³ Robert(Paul)، le nouveau petit robert, dictionnaire le robert, Paris, 1996, p.1918.

naturel religion ويقصد به الإيمان بوجود الله وخلود الروح مع انتفاء

الوحي، ودين وضعي positive ويقوم على وحي الضمير والعقل¹.

وبذلك نستنتج أن مدلول كلمة "دين" في اللغة العربية أوسع منه في اللغات

الأخرى (الفرنسية والإنجليزية)، حيث أنه يدل على عدة معاني ومنها أنه المذهب

أو الطريقة أو العقيدة التي يسير عليها المرء عملياً أو نظرياً، وبذلك يتمكن المتدين

من خلاله التعامل مع الآخرين وكل ما يحيط به.

كما أنه المنهج المستقيم الذي ذكره الله بقوله " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

"² أي طريق ومسلك، حيث أن الدين هو منهج الفرد الذي يسير وفقه في هذه

الحياة، ويحدد كل أهدافه.

ثانياً: المعنى الشرعي:

لقد ورد لفظ الدين في ثلاث وتسعين موضعاً من القرآن الكريم في صيغ

مختلفة وبمعان شتى³، ومن ذلك قوله تعالى: "مالك يوم الدين"⁴، أي يوم المحاسبة والجزاء،

وقوله تعالى: "ومن يتبع غير الإسلام ديناً، فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"⁵،

فالْمَقْصُود بالدين هنا النظام أو العقيدة أو الشريعة أو المذهب الذي يعتنقه المرء ويسلكه

في حياته من غير الإسلام.

كما يأتي لفظ الدين في القرآن الكريم بمعنى المنهج والطريقة⁶، لقوله تعالى:

"لكم دينكم ولي ديني"⁷، أي لكم منهجكم وطريقتكم في عبادة غير الله، ولي منهجي

وطريقي في عبادة الله وحده دون سواه، ويأتي الدين في القرآن الكريم بمعنى العقيدة

¹ بدوي (أحمد زكي)، معجم ومصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي عربي، بيروت، 1978، ص 353.

² سورة المائدة، الآية 48.

³ فؤاد عبد الباقي (محمّد)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم دار الحديث، ط1، القاهرة، 1996، ص330/329.

⁴ سورة الفاتحة، الآية 04.

⁵ سورة آل عمران، الآية 85.

⁶ السّمالوطي (نبيل محمّد توفيق)، الدين والبناء العائلي، مرجع سابق ص44

⁷ سورة الكافرون، الآية 07.

والملة، حيث، يقول الله تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك"¹.

وهناك آيات كثيرة ذكر فيها لفظ الدين بمعنى الإسلام، مثل قوله تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام"² أي أنه كل ما أوحى به الله من عهد نوح إلى عهد محمد، وعلى ذلك يكون الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والإخلاص، يقول تعالى "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"³ وقوله تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً"⁴.

وهكذا فالدين هو بناء داخلي عند الفرد يستوحى من الوحي و يشمل كل الجوانب من فكر واعتقاد واجتماع واقتصاد... إلخ، وهو الدين الوحيد الذي يمتلك المعايير السليمة بحيث استطاع المحافظة عليها، عكس الأديان الباطلة، أي الوضعية والتي ومصدرها عقل الإنسان بحيث تمثلت في جهل الناس وضعفهم إذ عاشوا حياة الخواء الروحي، وهذه الأخيرة منتشرة في الهند والصين، وهناك أديان سماوية، مصدرها الله سبحانه وتعالى، ولكنها تعرضت للتحريف في العقائد والشرائح مثل اليهودية والنصرانية.

وأخيرا نختتم بوصف أبو الأعلى المودودي للدين بقوله: "إنه النظام الشامل للحياة يذعن فيه المرء لسلطة عليا، ثم يقبل على طاعتها وإتباعها وتقيده في حياته بمحدودها وقواعدها وقوانينها ويرجو في طاعتها العزة والترقي في الدرجات وحسن الجزاء ويخشى في عصيانها الدُّلة والحزى وسوء العقابة"⁵.

¹ سورة الشورى، الآية 13.

² سورة آل عمران، الآية 19.

³ سورة الذاريات، الآية 56.

⁴ سورة المائدة، الآية 03.

⁵ زنجي (مراد)، علم الاجتماع: رؤية نقدية، مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية، قسنطينة، الجزائر، 2004م، ص. 191.

1. تحديد مفهوم التدين:

في حقيقة الأمر من الصعب وضع تعريف محدد ومضبوط وواضح للتدين، طالما أن الأديان المختلفة تؤكد على سلوكات متباينة وقيم متنوعة.

ولذا يمكن تعريفه إجرائيا في حدود مشاركة الفرد في العبادات الدينية أو أنه يشير إلى مجموع السلوك والاتجاهات التي يحكم عليها باعتبارها في جماعة أو مجتمع معين.

كما تستخدم لفظة التدين لتعني الحضور إلى دور العبادة، أو العضوية في التنظيمات الدينية، ولا شك أن هذه الجوانب غير كافية، فهي لا تفرق بين التوجيه نحو التنظيم الديني وبين التوجيه نحو نسق الاعتقاد لتنظيم ديني، كذلك فإنه بعدي الحضور والتردد على دور العبادة والانتماء إلى تنظيم ديني معين غير كافيين لتوضيح معنى التدين ووظائفه الأساسية والتي قد تكون وراء مثل هذه الممارسات ومتعلقة بالاهتمام المطلق وما هو فوق طبيعي، وفي هذا الصدد حاول لنسكي "Linski" أن يحدد بعض جوانب التدين فميز بين أربعة جوانب رئيسية هي الواقفة والطائفية، والتقليدية، والتكريسية. وانعدام أي درجة من هذه الجوانب - حسب لنسكي - في الفرد يعد غير متدين، كما يقدم جلوك « Glock » جوانب أخرى للتدين أكثر تقبلا، لأنها محددة في مقولات من القيم والمنظورات الدينية، هذه الجوانب هي المعايضة أي التجربة أو المشاعر الدينية الذاتية، أو الشعائرية أي الممارسة الخاصة المتوقعة من الأفراد أو المعتنقين للعقيدة، والأيدولوجية أي الاعتقادات الحقيقية التي يعتنقها المنتمون إليها والفكرية أي المعرفة الخاصة بالاعتقادات المتصلة بالعقيدة، والترابطية أي الآثار المرتبة على الاعتقاد والممارسة والتجربة الدينية، كذلك من الصعوبة أن يتعامل بأمانة مع تجربة الممارسة الدينية عن

طريق استخدام المسح، إذا كان الباحث يريد التوصل إلى عمق ومجال مشاعر الفرد الدينية، كما أنه من الصعوبة بمكان أن نتحقق من درجة التدين ككل¹.

أما بالنسبة لمشكلة العلاقة بين تدين الفرد وتدين النسق الذي يعد الفرد عضواً فيه، فإن جلوك يرى أن تدين المجتمع موضوع للقياس من خلال المؤشرات الإجمالية لتدين أفراد².

كما يعرف "رشاد عبد العزيز" التدين هو ما يقوم به الفرد من سلوك واتجاهات ومعتقدات دينية تجاه خالقه، وأفراد مجتمعه ونحو نفسه، وذلك بالتمثل بالأخلاق الفاضلة التي يدعو إليها الدين³.

كما تعرف "سمية فهمي" التدين بأنه وجدان وعمل قبل أن يكون مناسكا وتراثيلا، يتبع هذا الوجدان من تطلع الإنسان إلى اكتشاف سر وجوده وكنه الكائنات من حوله، ينبع من تلهفه إلى صدر رحيم يثق به ويطمئن إليه، وينبع من احتياجاته إلى قوى عظيمة تشد من أزره، وتوجهه في هذه الحياة⁴.

أما التدين في الفكر الإسلامي فهو "انفعال الواقع بالإسلام والتعاليم الإسلامية انفعالا مقصودا تحدته إرادة الإنسان على سبيل التكليف الملزم، ف عناصره المتفاعلة إذن هي: واقع الحياة الإنسانية المتمثلة في تصوراته الذهنية وفي سلوكه ونظم حياته وسعيه في تدبير معاشه ومنظومة متكاملة من التعاليم الموجهة للتصور والسلوك معا، وإرادة تكيف التصور والسلوك بحسب تلك التعاليم.

¹ محمد أحمد بيومي. علم الاجتماع الدين ومشكلات العالم الإسلامي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص.ص. 199-200.

² نفس المرجع، ص.ص. 199-200.

³ رشاد عبد العزيز. علم النفس الاجتماعي، القاهرة، دار عالم المعرفة، 1993، ص. 428.

⁴ سمية فهمي، الأسس النفسية للتجاه الديني، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، الكتاب السنوي الثاني، القاهرة، 1975، ص. 279.

وعليه فالتدين يقتضي أن ينزل المكلف تلك التعاليم المجردة على انفعالاته العينية بمعطياتها الزمانية والمكانية وبحيياتها الشخصية، وهو ما يستلزم جملة من الآداب التي تسير ذلك التنزيل، وتجعل الفعل المشخص منفعلا بالمبدأ الكلي المجرد، وتلك الآداب هي فقه التدين¹.

والتدين انفعال بالدين وتصديق عقلي وسلوك عملي، على معنى أنه تحمل الدين واتخاذ شريعة ومنهاجا. وهو كسب إنساني في الاستجابة لتلك التعاليم، وتكييف الحياة بحسبها في التصور والسلوك وهو تشريع بتلك التعاليم، وهو جهاد لإنجاز الدين، فيه معاناة يكابدها الإنسان عبر واقعه الذاتي والموضوعي، وفي ذلك الجهاد يصوغ في تصرفاته الفردية والاجتماعية والكونية في مكابדתه لواقع النفس والمجتمع². ومن خلال استعراض التعريفات السابقة للتدين، يتضح لنا أنها تدور حول أبعاد محددة يمكن اعتبارها محركات عملية للتدين، ومن هذه الأبعاد العقائد، ويعبر عنه بالبعد الإيديولوجي، وبعد العبادات، وبعد الأخلاق والمعاملات، وبذلك يمكن إعداد الفرد المتدين الذي يختلف عن الفرد الغير المتدين أو القاعد، لأنه من الناحية الإسلامية هو إنسان صاحب عقيدة يتجسد إيمانه في تطبيق أفكاره النظرية على الواقع بعمل الصالحات في نفسه ثم يجتهد ليجسد هذا الحق في مجتمعه مهما كانت الصعاب ومهما كانت التضحية.

II. أشكال التدين:

هناك اختلاف في درجة ونوعية تدين الأفراد والجماعات ولكي نفهم أكثر مصدر هذا التنوع فلا بد أن نعرف نشاطات الإنسان النفسية والتي يمكن حصرها في ثلاث دوائر³:

¹ عبد المجيد النجار، فقه التدين، الجزائر، منشورات قرطبة، 2006، ص. 7.

² نفس المرجع، ص. (5-6).

³ المهدي محمد (استشاري الطب النفسي)، أنماط التدين، (www.Elazayem.com/19.12.2006)

دائرة المعرفة، ودائرة العاطفة (الانفعال أو الشعور)، ودائرة السلوك (الإرادة والفعل)، ومن هذا التعدد من العناصر نورد النماذج التالية من الخبرة الدينية التي نراها في حياتنا اليومية.

1 - التدين المعرفي "الفكري":

وهنا ينحصر التدين في دائرة المعرفة، حيث نجد الشخص يعرف الكثير من أحكام الدين ومفاهيمه، ولكن هذه المعرفة تتوقف على الجانب العقلائي والفكري ولا تتعداه إلى دائرة العاطفة والسلوك، فهي مجرد معرفة عقلية، وبعض هؤلاء الأشخاص ربما يكونون بارعين في الحديث عن الدين أو الكتابة فيه رغم هذا فهم لا يلتزمون بتعاليمه في حياتهم اليومية.

2 - التدين العاطفي "الحماسي":

في هذه الحالة نجد أن الشخص يبدي عاطفة جارفة وحماسا كبيرا نحو الدين، ولكنه لا يواكبه معرفة جيدة بأحكام الدين ولا سلوكا ملتزما بقواعده، وهذا النوع ينتشر بسرعة في الشباب خاصة حديثي التدين، وهي مرحلة يجب إكمالها بالجانب المعرفي والجانب السلوكي حتى لا تطيش ولا تنمحى.

3 - التدين السلوكي "تدين العبادة":

وهنا تنحصر مظاهر التدين في دائرة السلوك، حيث نجد الشخص يقوم بأداء العبادات والطقوس الدينية، ولكن دون معرفة كافية بحكمتها وأحكامها، وبدون عاطفة دينية تعطي لهذه العبادات معناها الروحي، ولكن فقط يؤدي هذه العبادات كمعادة اجتماعية تعودها وهذا النوع يمكن أن يكتمل ويرشد بإضافة الجانب المعرفي وإيقاظ الجانب الروحي.

4 - التدين النفعي "المصلحي":

في هذه الحالة نجد الشخص يلتزم بالكثير من مظاهر الدين الخارجية للوصول إلى مكانة اجتماعية خاصة أو تحقيق أهداف دنيوية شخصية، وهؤلاء الناس أصحاب

هذا النوع من التدين (أو التظاهر بالتدين) يستغلون احترام الناس للدين ورموزه، فيحاولون كسب ثقتهم ومودتهم بالتظاهر بالتدين، والشخص في هذه الحالة يسخر الدين لخدمته وليس العكس، وتجده دائما حيث توجد المكاسب والمصالح الدنيوية الشخصية وتفقدته في الحن والشدائد¹.

5- التدين التفاعلي "تدين رد الفعل":

نجد هذا النوع من التدين في الأشخاص الذين قضوا حياتهم بعيدا عن الدين، يلهون ويمرحون ويأخذون من متع الدنيا ملذاتهما بصرف النظر عن الحلال والحرام، وفجأة نتيجة تعرض شخص من هؤلاء لموقف معين أو حادث معين نجده قد تغير من النقيض إلى النقيض، فيبدأ بالالتزام بكثير من مظاهر الدين، ويتسم بالعاطفة القوية والحماس الزائد ولكن يبقى تدينه سطحيًا تنقصه الجوانب المعرفية والروحية العميقة، وفي بعض الأحيان يتطرف هذا الشخص في التمسك بمظاهر الدين حفاظا على توازنه النفسي والاجتماعي وتخفيفا للشعور بالذنب الذي يلهب ظهره ويقض مضجعه؛ وهذا النوع لا بأس به إذا وجد المجتمع المتقبل والمرشد لهذا الشخص التائب المتحمس ليكمل طريقه ويصعد في مدارج السالكين برفق وروية.

6 - التدين الدفاعي "العصائي":

قد يكون التدين دفاعا ضد الخوف أو القلق أو الشعور بالذنب أو تأنيب الضمير أو دفاعا ضد القهر والإحباط، وفي هذه الحالة يلجأ إلى التدين ليخفف من هذه المشاعر ويتلخص منها، وكلما زادت هذه المشاعر كلما كان اتجاهه للدين أقوى، لا بأس من ذلك إلا أن هذا التدين تنقصه الجوانب الروحية وجوانب المعاملات والنواحي الأخلاقية في الدين،" ويحدث هذا النوع أيضا في بعض الأشخاص الذين يشعرون بالعجز في مواجهة متطلبات الحياة احتماؤه به في مواجهة الصعوبات التي عجز عن

¹ نفس المرجع (صفحة الويب).

مواجهتها وإيثار للراحة في سبيل بعض المفاهيم "شبه الدينية"، فنجد الشخص من هؤلاء قد أهمل دراسته أو عمله أو مسؤولياته وتفرغ لممارسة بعض الشعائر الدينية التي لا تتطلب جهداً أو مشقة وهدفه (غير المعلن) من ذلك هو تغطية قصوره وعجزه والهرب من مواجهة الحقيقة والواقع¹.

7 - تدين التطرف:

وهو يعني العلو في جانب أكثر من جوانب الدين بما يخرج الشخص عن الحدود التي تقرها الشريعة الإسلامية، ويجمع عليها علماء الدين، والتطرف بدوره ينقسم إلى أقسام:

➤ **التطرف الفكري:** حيث يصعب النقاش مع هذا الشخص حول ما توصل إليه من أفكار، وينغلق على فكره فلا يقبل فكرة أو رأياً آخر.

➤ **التطرف العاطفي:** وقد يكون التطرف في مجال العاطفة، حيث تصبح عواطف الشخص كلها متركزة على الجوانب الدينية، ويصبح شديد الحساسية من هذه الناحية شديد المبالغة في الانفعال.

➤ **التطرف السلوكي:** وهنا نجد الشخص يبالغ مبالغة شديدة في أداء الشعائر الدينية الظاهرة بما يخرجها عن الحدود المقبولة شرعاً، وكأن هذه الشعائر هدف في حد ذاتها لذلك نجد أن هذه الشعائر تخلوا من معناها الروحي، بل إن التطرف في مجال الفعل قد لا ينتهي عند حدود الآخرين لكي يسلكوا مثله، وإذا أبوا ذلك ربما يقوم بالاعتداء عليهم².

8- تدين التصوف:

وهو تربية ذاتية شديدة الخصوصية يمر بها قليل من الناس لهم تركيب اجتماعي وروحي خاص ولذلك فليس من السهل التعبير عنها بالألفاظ المعتادة، لأنها خارج

¹ نفس المرجع السابق (صفحة الويب).

² نفس المرجع السابق (صفحة الويب).

حدود الألفاظ، ولكننا نستطيع أن نقول على وجه التقريب أنه في هذه الخبرة التصوفية يمر الشخص بفترة معاناة شديدة بين كثير من المتناقضات، ثم فجأة يحس أن هناك شيئاً هائلاً قد حدث وكأنه ولد من جديد، فأصبح يرى نفسه ويرى الكون بشكل مختلف تماماً، ويحس أن كثيراً من صراعاته قد هدأت وأن كثيراً من الحجب والأقنعة قد كشفت وأنه قد توحد مع الكون¹، وعلى الرغم من عمق هذه التجربة وسحرها إلا أنها تبقى خبرة شخصية غير صالحة للتعميم، وهي فوق ذلك خبرة خطيرة غير مأمونة، حيث تختلط فيها الإمامات بالوساوس، فيرى بعضهم أشياء يعتقدونها إلهامات روحانية، في حين أنها ربما تكون وساوس شيطانية، فهي منطقة تيه وخطر².

9 التدين المرضي "الباثولوجي":

بعد استعراض أنواع الخبرة الدينية، ربما يسأل السائل كيف نفرق الأنواع المرضية من الأنواع الصحية في الخبرة الإنسانية؟ إن هذا الأمر ليس بالأمر السهل في كل الأحيان، ولكن هناك صفات عامة تميز التدين المرضي وهي: تضخيم قيمة اللفظ على حساب المعنى، وإعلاء قيمة المظاهر الخارجية للدين على حساب المعنى الروحي العميق للدين، وإعاقة النمو النفسي والاجتماعي والروحي وإعاقة التكامل الشخصي والإنشاق بين ما يسديه الشخص من مظهر ديني وبين ما يضمه من أفكار وأحاسيس، والميل إلى الاغتراب بعيداً عن الذات، التعصب والتشدد خارج الحدود المقبولة شرعاً، تضخيم الشخص ذاته وتعظيمها والرغبة في السيطرة القاهرة لفكر ومشاعر الآخرين، ثم الرفض الصلب والعنيد لأي رأي آخر مع قدرة كبيرة على المناقشات الدينية.

¹ نفس المرجع.

² نفس المرجع.

وأخيرا تحفيز الذات وما يستتبع ذلك من الميل إلى السلبية والهروب من مواجهة الواقع¹.

فالدين يدخل في علاقة تفاعلية مع الوحدات الاجتماعية الأخرى المكونة للمجتمع، هذه الحقيقة تمثل حجر الزاوية في علم الاجتماع الديني².

وفي هذا السياق يرى "ابن خلدون" أن السياسة الرشيدة لفك الخصومات يجب أن تعتمد على القوانين المستنبطة من أحكام الشريعة وحكمه فيهم عادة يكون مستندا على شرع منزل من عند الله يوجب انقياد إليه وإيمانهم بالشواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه³.

ويرى "إميل دوركايم" أن الدين يجب أن يدرس كحقيقة اجتماعية **fait social** أو كشيء **A comme une chose**، ويرفض تفسير الدين على أنه

نتاج تقسيمات عقلية زائفة، أو توهم ناجم عن ضغط مشاعر معينة، ويتساءل هل يمكن لمثل هذا الوهم أو الخيال أن يستمر في أن يكون له قوة عالمية في كل المجتمعات الإنسانية، فالدين يجب أن يكون حقيقيا حتى يمكن أن يكون له تأثيرات اجتماعية⁴. وللتأكد على أن الدين كظاهرة اجتماعية يتضمن العديد من الاعتبارات:

1 - أن الدراسة السوسيولوجية للدين عن الأحكام المعيارية بمعنى أن الباحث عندما يتناول الدين لا يتناوله من حيث الصدق أو الكذب، النفع أو الضرر، حقيقة قد تنفيذ هذه المقولات في التفسير اللاهوتي أو الفلسفي، لكن هذه المقولات المعيارية ليست من اختصاص عالم الاجتماع الديني، فالتأكيد هنا على أن دراسة الحقيقة ومنها الحقيقة الدينية تتطلب الحيادية والموضوعية.

¹ نفس المرجع السابق (موقع الويب).

² محمد أحمد بيومي ، مرجع سابق، ص.42.

³ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، القاهرة، مطبعة عبد الرحمن، دون سنة، ص.303.

⁴ محمد أحمد بيومي ، المرجع السابق، ص.104.

2 - أن الدراسة العلمية للدين تتطلب البحث عن المتغيرات الدينية، وهذا لا يمكن التوصل إليه عن طريق الوصف والملاحظة فقط¹.

وفي الأخير نستنتج أن وجود الدين كقانون من قوانين الضبط الاجتماعي مرتبط بالثواب ومنذرة بالعقاب، لا بد أن يجعل سلوك المؤمن ملتزما ومتجاوبا مع مبادئ وتعاليم وقيم الدين، وقد اتصلت الشريعة الإسلامية بأمور الدنيا والآخرة، فوضعت القواعد للزواج والطلاق، وحددت نظم الميراث والوصية والأهلية والولاية على المال ووضعت كل ما يتعلق بالأحوال الشخصية، مثل زواج المسلم بالمسلمة وشروط الزواج بين المسلم والمرأة من دين آخر... وبذلك فالإسلام يختلف اختلافا كبيرا عن الأديان الأخرى، لأن الشريعة تنظم العلاقات الاجتماعية وتحقق الأمن السياسي والعدل الاقتصادي والإخاء الاجتماعي.

كما يعد الدين مصدرا أساسيا في الممارسات السلوكية الإيجابية، فهو يحث الأفراد على الالتزام بالقيم الإيجابية كالصدق والإخلاص والصبر والشجاعة والثقة بالنفس واحترام الكبير والعطف على الصغير والعدالة والمساواة والحرية والعفة والمروءة والشفقة.

وفي نهاية هذا الفصل نختتم بمقولة "غوستاف لوبون" "افتراض مجتمع بدون دين ضريا من المحال في الواقع، ماضيا وحاضرا ومستقبلا"، فقال: وهل من الممكن أن يفترض وجود أمة مجردة من معتقدات دينية؟ لم يعرف العالم أمة من هذا النوع بعد، ولن يرى مثل هذه الأمة على ما يحتمل، فالاحتياج الوجداني إلى دين موجه مثبت أمر لا بدليل عنه"³.

¹ عاطف محمد غيث، علم الاجتماع الديني، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص.43.

² قباري إسماعيل، أسس البناء الاجتماعي، دراسة وظيفية تكاملية للنظم الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعارف، دون تاريخ، ص.151.

³ غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: د. عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، دون سنة، ص. 77.

III. مظاهر الدين في الحياة الزوجية:

• العبادات والمعاملات:

قبل تحديد مفهوم العبادة، ينبغي أولاً الإشارة إلى المقصود بالقيم الدينية وهي الأحكام التي يصدرها المرء على أي شيء مهتدياً في ذلك بقواعد ومبادئ مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وما يتفرع عنها من مصادر التشريع الإسلامي أو ما تحتويه هذه المصادر، وتكون موجهة إلى السنة عامة أما العبادة فلها الشأن الأول في كل الأديان السماوية بما في ذلك الدين الإسلامي، ففيها يبدي المرء إقراراً كلياً كاملاً بقلبه وبلسانه وبجوارحه وخضوعه بشكل كامل للخالق الباقي. ومادام الإنسان قد آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر والقدر: فإنه ملزم بجميع الفرائض والواجبات التي أمر بها الله ولا تعني العبادة فقط الشعائر العظيمة والأركان الأساسية كالصلاة والصوم والحج وقراءة القرآن والدعاء وإنما تشمل الحياة كلها وتستوعب كيان الإنسان كله¹. وبذلك فالشريعة هي عبارة عن أحكام شرعها الله، وكلف المسلمين إياها، ليأخذوا أنفسهم بها في علاقتهم بالله وعلاقتهم بالناس، وأنها على كثرتها ترجع إلى ناحيتين رئيسيتين: العبادات والمعاملات.

أما العبادات: هي ناحية العمل الذي يتقرب به المسلمون إلى ربهم، ويستحضرون به عظمته، ويكون عنواناً على صدقهم في الإيمان به، ومراقبته والتوجه إليه.

و المعاملات: وهي ناحية العمل الذي يتخذه المسلمون سبيلاً لحفظ مصالحهم، ودفع مضارهم، فيما بينهم وبين أنفسهم، وفيما بينهم وبين الناس، على الوجه الذي يمنع المظالم، وبه يسود الأمن والاطمئنان².

1رحالي(صليحة)، القيم الدينية والسلوك المنضبط، الكشف الإسلامية الجزائرية، نموذجاً: دراسة ميدانية لمدينة المسيلة، مذكرة مقدمة لئيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الديني، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة باتنة، 2007-2008، ص 17/16.

2شلموت(محمد)، الإسلام عقيدة وشرعة، دار الشروق، ط6، بيروت، 1972، ص 89.

وقد تضمن هذا أنّ الإسلام يرى مسؤولية المرأة من الوجهة الدينية كمسؤولية الرجل سواء بسواء، يكلف بالعقيدة، وتكلف هي أيضا بالعقيدة، ويطلب بالعمل الصالح. وتطالب هي أيضا بالعمل الصالح، ولكل منهما جزءا ما أكتسب من خير أو شر، قال الله تعالى: "ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين، خانتاهما، فلم يغنيا عنهما من الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت: رب ابن لي عبدك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين"¹.

فالعبادات التي كلفنا الله تعالى بها هي: الصلاة والصوم والزكاة، والحج" تقرر بوحدانية الله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وهي تطهير القلب، وتركية النفس، وقوة مراقبة الله التي تبعث على امتثال أوامره والمحافظة على شرائعه في جميع نواحيها، كانت هي العمدة التي يبنى عليها الإسلام"، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت لمن أستطاع إليه سبيلا"².

وبأداء العبادات يتعلم الإنسان كثيرا من الخصال الحميدة كمجاهدة النفس والصبر والطاعة والإحسان إلى الناس ومساعدة المحتاجين...، وبذلك ستعكس هذه الخصال الحميدة على حياة الفرد وعلاقته مع أسرته.

أما بالنسبة للمعاملات فقد أرشدنا على التحلي بالأخلاق الحسنة مما يؤدي إلى حسن التعامل مع الناس وخدمتهم ومساعدتهم سواء بالفعل أو القول كالكلمة الطيبة والابتسام، والصبر على الأذى والتسامح وصله الرحم خاصة صلة الوالدين، ويرهما لقوله عز وجل: "وقضى بك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا"³.

1 القرآن الكريم، سورة التحريم، الآية، 10-11.

² محمود شلتوت، نفس المرجع السابق، ص. 90.

³ القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 23.

لذلك نجد الإسلام قد مهّد لتكوين العائلة انطلاقاً من أداء العبادات والتحليّ بالمعاملات الحسنة التي تتعلّق بالمؤدّة والرحمة وصيانة حقوق الزوجين لأنّ السلوكات التي تصدر من المسلم تؤفّر الاستقرار والاستمرار والبقاء الطويل الأمد للخلية الأساسيّة في المجتمع، وهي الخلية العائلية وتنظيمها"، إذ أنّ هذه العلاقة تبنى على أنبل القيم وأمتن الدعائم، وأشرف المبادئ وأقومها، والتي تبعدها عن كلّ ما يسبب لها التصدّع والانقسام والاختيار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "تزوجوا ولا تطلقوا، فإنّ الطلاق يهتّز له عرش الرحمن"¹.

• الكفاءة في الأدوار الزوجيّة:

يتأثّر دور الزوجة أو الزوج بشخصيّة كلّ منهما ومفهومه عن نفسه وتصوّره لدوره، وفهمه لما هو متوقّع منه، وما هو متوقّع من الزوج الآخر من خلال ما اكتسبه في عملية التنشئة في البيت والمدرسة والمجتمع، وما حصله من معلومات عن الواجبات والحقوق في الدورين².

فمساواة الأدوار في جماعة الأسرة، لا تعني التشابه العيني في واجبات كلّ من الزوجين، بقدر ما تعني التكافؤ وفي الجهد الذي يبذله كلّ منهما في أداء واجباته. وفي الحقوق التي يحصل عليها من الزوج الآخر، فهي مساواة معنويّة أكثر منها مماثلة في طبيعة الأعمال التي يقوم بها كلّ منهما³.

فالتفاعل الزوجي يتأثّر بصراع الأدوار أو الدور، بسبب عدم كفاءة كلّ من الزوجين أو أحدهما في أداء الأدوار، أو كثرة المسؤوليّات المطلوب تنفيذها أو التقصير في أدائها، لذلك كان من الضروريّ تدريب الشباب على الواجبات الزوجية، وتبصيرهم بمسؤوليات كل من الزوجين في الحقوق الزوجية والأعمال المنزلية وتربية الأطفال، وكسب

¹ العبي (بختي): التربية العائلية في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 30.

² مرسى (كمال إبراهيم)، مرجع سابق، ص 141.

³ الخولي (البي)، الإسلام، وقضايا المرأة المعاصرة، الإتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية، الكويت، 1980، ص 145.

الرزق والإنفاق، حتى يرضى كل بمسؤولياته بنضوج شخصيته كل من الزوجين. وذكائه وفهمه لحقوقه وواجباته، وحقوق وواجبات الآخر، ودرجة إيمانه الله.

فقد وجد أن تدين الزوجين وخوفهما من الله، يجعل كل منهما موضوعيا في تقويم ردود أفعال الآخر التي لا تعجبه، فلا يبالغ في تقويم أخطائه، ولا يتغاضى عن محاسنه، لأنه يشعر بمراقبة الله له، وقد كان الحسن بن علي رضي الله عنهما حكيماً عندما جاءه رجل يطلب النصيحة في زواج أخته، فقال له: "زوجها لمن يتقي الله فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها"¹.

● الاستجابة:

هي عملية نفسية حركية، فالزوج يستجيب لسلوكيات زوجته والزوجة تستجيب لسلوكيات زوجها وتعتبر هذه الاستجابات وسيلة الاتصال بين الزوجين، وطريقة التفاهم بينهما وأسلوبهما في حل مشكلاتهما، وفي التعبير عن مشاعرهم واتجاهاتهما نحو بعضهما البعض².

وبذلك فالزوج غير الناضج عقليا وانفعاليا، سري الغضب لا يتحمل أخطاء الزوج الآخر وتكون ردود أفعاله عدائية ويضطرب التفاعل الزوجي، وتسوء العلاقات الزوجية.

لذلك لم تقف دعوة الإسلام عند دعوة كل من الزوجين، لأن يكون حسن السلوك مع الزوج الآخر، وتحكيم العقل، بالعفو وكظم الغيظ عند الغضب، حتى تدوم العشرة بينهما على أساس التسامح والمودة، فقد جاء الأمر سريعا في القرآن الكريم بحسن معاشرته زوجاتهم، قال تعالى: "وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا"³، كما أمر الإسلام الزوجات بحسن معاشرته

¹ حديث شريف، رواه مسلم وأحمد.

² مرسي (كمال إبراهيم)، مرجع سابق، ص. 92.

³ القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 19.

أزواجهن بحيث تكون ردود أفعالهن قائمة على الطاعة والتعاطف لذلك حث الرسول صلى الله عليه وسلم كل زوجة على ترضية زوجها إذ قال: "كل ودود ولود، إذا غضب زوجها، قالت هذه يدي في يدك ، لا أكتحل بغمض حتى ترضى"¹.

كما رعى الإسلام الفروق الفردية في داخل الإنسان فهو ليس ملاك ولا شيطانا، لكنه إنسي بما لديه من دوافع للعالم والدين، ترتفع عنده الدوافع الدينية، فيشعر بالريح من سلوكياته مع الآخرين في الثواب من الله، وأحيانا أخرى ترتفع عنده الدوافع الدنيوية، فيشعر بالريح من سلوكياته في الثواب من الناس، لذا أقر الإسلام مبدأ الثواب والعقاب في التفاعل الزوجي، وأعتبر إثابة كل من الزوجين لسلوك الآخر باعثا على التفاعل الإيجابي الجاذب، وهو معاقبته باعثا للتفاعل السلبي النافر، ودعا كلا منهما إلى حسن معاملة الآخر، وعدم الإساءة إليه، لأن في الإحسان إثابة، وهي الإساءة عقابا².

لذلك عظم الإسلام حقوق الزوجة على الزوج وحثه على أدائها. ووعده بالثواب من الله إن رعى حقوقها، فقال عليه الصلاة والسلام: "واللقمة تضعها في فم زوجتك لك فيها أجر"³ وكذلك قوله: "وفي بضع أحدكم صدقة"⁴.

• التفاعل الزوجي على المستوى الاجتماعي:

يقصد توافق الفرد مع المجتمع، رضاه عن الناس الذين يعيش معهم وعن عاداتهم وتقاليدهم وشعوره بالتقبل والحب والتعاون معهم ورغبته في الالتزام بقواعد السلوك السائدة في مجتمعه⁵.

¹ حديث شريف، رواه الطبري.

² مرسى (كمال إبراهيم) ، مرجع سابق، ص.104.

³ حديث شريف، متفق عليه.

⁴ حديث شريف، رواه البخاري.

⁵ مرسى (كمال إبراهيم) ، مرجع سابق، ص.90.

كما يقصد بالتفاعل الاجتماعي أيضا العلاقات الاجتماعية بجميع أنواعها سواء كانت هذه العلاقات بين فرد وفرد أو جماعة وجماعة، أو بين جماعة وفرد، فعندما يقابل فرد فرد آخر يبدأ بينهما تفاعل اجتماعي ومن شروط التفاعل الاجتماعي أن يكون تفاعل بين أفراد وأفراد ولا بين أفراد وأشياء، لن الأشياء لا تستطيع أن ترد الاستجابة أو أن تتجاوب¹. والعلاقات الاجتماعية التي تنجم عن التفاعل الاجتماعي كثيرة أهمها العلاقات الأسرية والزواجية.

1 - العلاقات الأسرية:

تتميز الأسرة كجماعة بوجود تفاعل مباشرة وعميق بين أفرادها، ويؤثر هذا التفاعل وطبيعته على العلاقات والروابط الاجتماعية في المجتمع، وكلما كانت العلاقات تقوم على أسس وروابط متينة، كلما تمتع المجتمع بالاستقرار ولكي تتمكن الأسرة من ممارسة هذا الدور بنجاح فإنها تحتاج إلى التقارب والتماسك فيما بينها حتى يكون التفاعل بين أفرادها إيجابيا فيعرف إحسان محمد الحسن العلاقات العائلية: "بأنها طبيعة ودرجة الاتصالات والتفاعلات الرسمية وغير الرسمية التي تقع بين أعضاء العائلة الممتدة، الذين يعيشون في دار واحدة، كالعلاقة التي تقع بين الزوجة والزوج أو بين الأب والابن أو بين الأم والبنت أو بين الجد والحفيد وهكذا..."²

وبذلك فنجاح الأسرة يتمثل في أداء وظائفها وفي قيام كل فرد من أفرادها بدوره في الحياة الأسرية، ويرتبط التوافق الأسري في المقام الأول بوجود التوافق الزوجي بحيث يعد هذا الأخير من المسائل المهمة لتحقيق التكامل الأسري.

¹ النجحي (محمد لبيب)، الأسس الاجتماعية للتربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965، ص. 268.

² الحسن (إحسان محمد)، العائلة والقرابة والزواج، مرجع سابق، ص. 68.

2 -العلاقات الزوجية:

يقوم البناء الأسري على طبيعة العلاقة الزوجية كما يرى توزارد بأن طبيعة البناء الأسري يتحدد أساسا في نموذج طبيعة العلاقات والتفاعلات بين الزوجين بالإضافة إلى أطفالهما¹.

فالعلاقة الزوجية هي رابطة روحية، تسعى إلى تحقيق حياة سعيدة وتسمح بتطبيق تدريجي للأهداف الخاصة بكلّ شريك، ليتم بعد ذلك التوافق الزوجي المبني على عدة أبعاد من أهمها بوجود التقارب الاجتماعي بين الزوجين بوجود نوعا من التّضج الانفعالي حيث يتسم بالاتزان العاطفي والتوافق الجنسي، والتضج العقلي، أو أداء الزوجين للدور الأسريّة، باتخاذ قرارات مشتركة حول الميزانية والاتفاق وتربية الأولاد، بالإضافة إلى الأهداف المشتركة بينهما، فإنها تؤدّي على تكامل الحياة الزوجية، وهذا عكس ما كانت تقوم عليه العلاقة الزوجية في الماضي بحيث كان الأب يرأس الأسرة التقليدية ويسيطر على أمورهما سيطرة كاملة، فهو غالبا ما كان ينفرد في اتخاذ القرارات المتعلقة بشؤون المنزل، وخاصة تلك المتعلقة بموازنة الأسرة ومستقبل الأولاد وكان الأب يجد أساسا لسلطته هذه داخل الأسرة مستندا إلى مركزه في العملية الإنتاجية، من حيث ملكية لوسائل الإنتاج ودوره الرئيسي في العمل خارج المنزل، في توفير الاحتياجات الأساسية لحياة أسرته واستمرارها، وكانت علاقة الزوجة بزوجها علاقة طاعة وخضوع، وتبعية مطلقة، غير أن هدم الصورة التقليدية بين الزوج والزوجة في المجتمع، بدأت تتغير وذلك بسبب التصنيع، والتحضر وتعميم التعليم وغيرهم².

IV. أثر التدوين على العلاقات الأسرية:

¹ . Touzard (A **enquête psychosociologique, les rôles conjugaux et structures familiales**, CNRS, Paris, 1967, P.43.

² القصور (عبد القادر) ، مرجع سابق، ص.75.

الزواج شراكة يبدؤها الطرفان برضاها، حيث يختار أحدهما الآخر وفق معايير وأسس ومبادئ، بعضها عاطفي نابع من الذات الإنسانية وبعضها اجتماعي، ويحدد الشرع الإسلامي البعض الآخر منها، ولو شبهنا الزواج بقطار يسير، يجر وراءه عرباته المختلفة المليئة بالأمال والطموحات والمشاكل، فإن التدين هو السكة الحديدية التي يسير عليها ذلك القطار ومن دونها لا يمكن أن يسير وأن تستديم حركته.

لذلك تعتبر الأسرة وحدة دينية تعتمد في حياتها كلية على الدين، وعن طريقه اكتسبت وحدتها واستقرارها، وقداستها، وتتطور البشرية اكتسب الدين صفته الأخلاقية وأصبح أوامر عند الله يلتزم بها الفرد في تصرفاته، وأصبحت أخلاقية الأسرة تابعة لأخلاقية الدين¹.

لقد حض الإسلام على حسن اختيار الزوجة باعتبار أن التدين له أثر على بناء الأسرة وديمومتها، فحتى لو كان الزوجين متدينين فهذا لا يعني أنه لا يقع بينهما اختلاف، ولمن الحرص على هذا الأمر من كليهما يقلل من الفجوة بينهما كما يحدد من نسب الطلاق في الأسر، لذلك حث الإسلام على اختيار الزوجة الصالحة المتدينة لما لها من أثر في استقرار الأسر واستمرار العلاقات الزوجية وسيرها في الطريق القويم، وجاء ذلك على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم الذي حث على الظفر بذات الدين، وأشار إلى أن من لم يظفر بذات الدين فقد أفلس، لأن الجمال سيفنى والحسب والنسب ليس عند الله بشيء، فالزوجة المتدينة تحافظ على الزوج وعرضه وماله وشرفه وكرامته وأولاده وبيته وذاك هو المطلوب في الزوجة المثالية.

فناشد الإسلام أولياء الأمور أن يختاروا لبناتهم من يرضون دينه وأمانته، وذلك لا يعني أن الإسلام يرفض ذات الجمال والحسب والنسب، فإذا كانت كذلك وعلى قدر من التدين فذلك خير على خير، ولكن لا نأخذ هذه الجوانب ونترك مسألة

¹ محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية، بيروت، دون سنة، ص. 131.

التدين، فقد تكون تغتر المرأة بجمالها وحسبها ونسبها، ولكن ذات الدين يمنعها دينها من أن تفعل ذلك، فإذا أنس لها زوجها وأحبها كانت أثيرة عنده فلا يهضمها حقها، وإذا أحبها فإنه يراعي الله سبحانه وتعالى حتى في المشاكل التي تقع بينهما .

كما يؤثر التدين إيجابا على شخصية المرأة المسلمة المسؤولة فتحس بمسؤولية اتجاه الأسرة، وأفرادها بصبر وتأن، وجزئية الصبر هذه جزئية هامة في النفس المسلمة حيث يراها التدين ويشجعها، فيصبر الزوج على تحمل هفوات الزوجة ونسيانها وأخطاءها، ويحثه على تجاوز هذه الأخطاء باستعلاء وصبر، وغايته في ذلك التقرب إلى الله عز وجل بقصد المثوبة واكتساب الحسنات، فالتدين هو ارتباط الأجر بالثواب وإذا ما سلك الزوجين طريق التدين فإنهما يؤجران على أولادهما ومعاملتهما الحسنة.

فالإسلام لم يترك بابا يفضي إلى سعادة الزوجين وذريتهما إلا أرشد إليه، فقد أباح للمرأة، بل حثها على الزواج بمن يسعدها، دون اشتراط الكفاءة، إلا في الدين والأخلاق لأن الناس عند الله سواء فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح¹.

قد يتساءل المرء هل تقوم كل البيوت على الحب المتبادل بين الزوجين. والجواب أن فكرة الحب التي روح لها الكثيرون خاصة وسائل الإعلام التي اجتاحت بتلك المفاهيم الكثير من الأسر المستقرة وفككتها، ليس من الضروري أن تحيا الأسر بالحب ودليلنا على ذلك أن رجلا جاء إلى عمر بن الخطاب يريد أن يطلق زوجته، فسأله عمر : (لماذا تريد أن تطلقها فقال الرجل : لأنني لا أحبها، فقال عمر : أين المروءة و أين الشهامة)، فليس من الضرورة أن تبني البيوت على الحب والحب في الأسرة بذرة تنبت وتنمو إذا توفر لها الاحترام والمودة، وقد لا يكون الحب ظاهرا بالألفاظ والكلمات ولكن الرجل المتدين ينفذه عمليا الاحترام والمودة وتلبية الرغبات

¹ بخي العربي، التربية العائلية في الإسلام، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص.33.

المشروعة للزوجة ومراعاتها في كل الأمور الأسرية والأخذ برأيها حتى في أموره الشخصية¹.

الشرعية الإسلامية دستور الأسرة وسبب استقرارها، فالزوجة رفيقة العمر ومأوى الزوج والسكن، و معنى السكن السكون والاستقرار، وبذلك يكون الإنسان إلى جانب زوجته ودعا ومستقرا قادرا على التفكير والإبداع . والسكن هو الستر وكذلك الزوج والزوجة بعضهما لبعض ستر، فالعلاقة مبنية على الرحمة.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، وهذه إشارة واضحة إلى أهمية حسن الخلق في الزوج لأنه ليس كل متدين حسن الخلق، فالرجل لديه الفكر قابل للانفصال عن الانفعال السلوكي خاصة إذا كانت مصلحته تتطلب ذلك فعند بعض الرجال يتنحى الفكر جانبا ويتصرف بقناعة مغايرة تماما لقناعاته وفكره، أما بالنسبة للمرأة فالرسول صلى الله عليه وسلم حث على خطبة ذوات الدين لأن الدين بالنسبة للمرأة جانب هام من حياتها العاطفية والخاصة، وكل إنسان يحتاج إلى الراحة فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يحتاج إلى السكن وكان عندما تكذبه قريش بما جاء به من عند الله، يعود مهموما حزينا فيجد القلب الكبير الذي يسعى ويستقر إليه وهي السيدة خديجة رضي الله عنها التي تقول له والله لن يخزيك الله أبدا، فكانت هذه الكلمات تنزل على روحه كالبلسم فتعالجها من الهم، وكالدواء الذي يشفي الجراح، وكانت رضي الله عنها تعطيه الدافع لأن يستمر في دعوته وذلك من خلال تعداد خصاله الحميدة وبذلك ينمو سلوك الفرد عن أن الدين ليس عقيدة شخصية أو أسرية فقط بل هو عقيدة المجتمع برمته. فالدين رابطة تربط المجتمع وتؤدي إلى المحافظة عليه وتعمل على تماسكه، ويصبح تقبل الدين وقواعده من الأمور الضرورية لاندماج الفرد في المجتمع².

¹ أثر التدين على العلاقات الأسرية (نفس الموقع).

² محمود حسن، مرجع سابق، ص. 131.

والقول بأن وراء كل رجل عظيم امرأة قول صحيح، وفي أوج انتصار النبي صلى الله عليه وسلم قال للصحابه وهم خارجون للعمرة : احلقوا رؤوسكم وانحروا هديكم فلم يفعلوا، وعندما دخل إلى أم سلمة قال : لقد هلك الناس، قالت : لماذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لأنهم يخالفوني، قالت : أتريد أن يفعلوا ؟ قال نعم، قالت له : أخرج إليهم ولا تكلمهم بل احلق رأسك وانحر هديك، فكانت زوجته بمثابة مستشار له، وهي لا شك أنها امرأة متدينة فالتدين ليس بالمظهر لأن الله لا ينظر إلى المظاهر وإن دلت على المحتوى، ولكن الله ينظر إلى القلوب، والتدين سلوك نابع من التفكير والانفعال العاطفي¹. هذا ويظهر أثر التدين جلياً خاصة عند ظهور الخلافات الزوجية.

و الخلافات الزوجية: يقصد بها على وجه الخصوص المشكلات الزوجية المتمثلة أساساً في "تباين أفكار ومشاعر واتجاهات الزوجين حول أمر من الأمور، تظهر لخلاف ، ثم تحوله إلى شقاق، فيختل التفاعل الزوجي ويسوء التوافق الزوجي، وتضعف العلاقة الزوجية.

هذا وتنقسم الخلافات الزوجية إلى نوعين :

أ - الخلافات البناءة:

تتميز بشعور المشاركة المتبادل بين الطرفين وإستمتاع كل طرف بالعلاقة مع الطرف الآخر، ويعتبر الزواج بالنسبة لكل منهما ذو أهمية مركزية ويحاول كل طرف أن يجعل من العلاقة الزوجية شيئاً حيويًا وبناءً وهنا يخطط كلا من الزوج والزوجة حياة مشتركة ويكونان أصدقاء وأحباء².

كما سميت هذه الخلافات بناءة لأنها تقوي الروابط الزوجية، وتجعل كلا من الزوجي يصحح من أساليب توافقه مع الآخر، وتجعله يغير من ردود أفعاله، فالعلاقة بين الزوج والزوجة ليست علاقة سيطرة وخضوع، وغنما هي علاقة مشاركة وإتحاد، "وهي

¹ أثر التدين على العلاقات الأسرية (نفس الموقع).

² السيد(رمضان)، مرجع سابق ص.110.

مبنية على أساس من الاحترام المتبادل والالتزام بأداء الحقوق والواجبات ومراعاة مشاعر وذاتية الآخر، بما يدعم الثقة والتفاهم والتواصل الفكري والوجداني¹.

من أهم العوامل التي تجعل الخلافات بناءة².

1 - حصر احة كل من الزوجين في التعبير عن مشاعره السلبية وقبول هذه المشاعر دون غضب أو عداوة.

2 - تقبل كل منهما النقد الموضوعي من الزوج الآخر.

3 - سعي كل منهما إلى تحديد أسباب الخلافات بينهما، ومعرفة نقاط الائتلاف والاختلاف في المواقف.

4 - تحمل كل منهما غضب الآخر في بعض المواقف حتى يذهب عنه الغضب، ثم يناقشه بهدوء في أخطائه.

5 - اهتمام كل منهم بعلاج المشكلة التي بينهما، أكثر من اهتمامه بإثبات خطأ الزوج الآخر وتحميله المسؤولية وتبرئة نفسه منها.

6 - مراجعة كل منهما لنفسه بعد انتهاء الخلافات وإعادة النظر في مشاعره وأفكاره واتجاهاته نحو الزوج الآخر، وإزالة كل آثار سيئة للخلاف.

7 - استعداد كل منهما لعلاج أي خلاف قادم، وتحمل أي غضب من الزوج الآخر، باعتبارها أموراً طبيعية متوقعة في التفاعل الزوجي.

ب - الخلافات الهدامة:

يقصد بالخلافات الهدامة خلافات تؤدي إلى الخصام والعداوة والصراع والانتقام. فهي خلافات مطلقة ليس فيها تفاوض ولا تفاهن ولا حلول وسط وتجعل مواقف التفاعل الزوجي مواقف بغيضة إلى نفس كل من الزوجين، و"غالبا ما ينتج هذا النوع من العلاقة من استعمال أسلوب التسلط والقسوة من طرف أحد الزوجين تجاه الآخر وعدم إتاحة

¹ محمد بيومي خليل، سيكولوجية العلاقات الزوجية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1989، ص19.

² مرسي، (كمال إبراهيم)، مرجع سابق، ص.238.

الفرصة له للتعبير عن ذاته واستخدام أساليب العقاب النفسي والبدني في معاملته"¹، كل هذا ينبئ بخدم العلاقة الزوجية ووقوع الطلاق، ومن أهم علامات هذا النوع من الخلافات²:

- صراحة كل من الزوجين في التعبير عن مشاعره السلبية وقبول هذه المشاعر دون غضب أو عداوة.
- تقبل كل منهما النقد الموضوعي من الزوج الآخر.
- سعي كلٍّ منهما إلى تحديد أسباب الخلافات بينهما، ومعرفة نقاط الائتلاف والاختلاف في المواقف.
- تحمّل كلٍّ منهما غضب الآخر في بعض المواقف حتى عند كل خلاف يحدث بينهما.
- استخدام كلٍّ منهما لما لديه من معلومات عن الآخر في الإساءة على سمعته أو إيذائه نفسيًا أو بدنيًا واجتماعيًا.
- تكبير كلٍّ منهما المشكلة الصغيرة بطرح مشكلات سابقة ليس لها علاقة بالخلافات الزاهنة، للتفجير الموقف، وتغذية الخلافات حتى تستمر أطول فترة ممكنة.
- الاستهانة بالمشكلة السلبية في مواجهتها، ورفض الصلح أو التفاوض حولها، وطلب المزيد من الشجار.
- العناد والخصام والمهجر والتهديد بالطلاق أو الزواج من أخرى والتوقف عن القيام بالواجبات الزوجية نكاية بالزوج الآخر.

¹ بيومي (محمد خليل)، مرجع سابق، ص 19.

² مرسى (كمال إبراهيم)، مرجع سابق، ص 239.

- المواجهة العدائية عند حدوث مشكلة حيث يعتمد كلٌّ منهما أو أحدهما إلى ضرب الآخر أو سبه، أو تخريب ممتلكاته، والإصرار على عمل ما يثير غيظه وتشجيع الناس على الإساءة إليه.

أسس علاج الخلافات الزوجية لتحقيق التوافق الأسري:

لا يخلو أي زواج من الخلافات الزوجية خاصة في السنوات الأولى، فمنها النوع العابر الذي يمكن أن ينتهي بجهد بسيط من الزوجين لأنه ناتج عن تباين طبيعي في وجهات نظريهما وعن الفروق الفردية في التفكير والعادات، ومنها ما يؤثر على العلاقة بحيث يختل التفاعل الزوجي بينهما فتضطرب حياتهما ويصبح توافقهما صعبا يحتاج إلى جهد وصبر.

يقوم حلّ الخلافات الزوجية على المبادئ الآتية¹:

- استعداد الزوجين للتفاهم على حلّ الخلاف، والمثابرة على الحوار البناء.
- الموضوعية في تناول الخلافات باعتبارها أمراً عادياً في الحياة الزوجية والصراحة في مناقشتها.
- تشجيع كلٍّ منهما الآخر للتعبير عن همومه في العمل والبيت.
- قبول كلٍّ منهما للفروق الفردية بينهما في التفكير والمشاعر واحترام كلٍّ منهما لآراء الآخر.
- مجاهدة كلٍّ منهما نفسه على التسامح والعفو والصبر، والبحث عن الحل المناسب، والتقريب بين وجهات النظر بالتنازلات والحلول الوسط.
- طلب المساعدة من ذوي الخبرة والحكمة من الأهل والأصدقاء في الخلافات التي تفوق قدرتهما على الحل.

¹ مرسي (كمال إبراهيم)، مرجع سابق، ص 251/252.

تحب كلّ منهما إلى الآخر بأكثر ما يحبه في قلبه، حتّى يزداد حبه أكثر، قال مهدي جواهري: "غيباب الحب ليس معناه الانصراف عن الزّواج وذلك لأنّ الحبّ سهل التّولّد، إذا توفّرت فيه النّيّة، فنحن إذا مزجنا المعاشرة والتآلف مع الود والتسامح مع الرغبة في التعاون مع الهدف المشترك. إذا مزجنا هذا كله حصلنا على أرقى أنواع الحب في الدنيا.

وكخلاصة في مسؤولية العلاج والوقاية من الخلافات ت تقع على الزوجين أولاً، ثمّ على الأهل والأصدقاء وكثير من الخلافات الزوجيّة هي خلافات عادية يستطيع الزوجان التغلّب عليها، إذا أحيان كلّ منهما الظن بالآخر، وتعاطف معه، وصبر عليه، وحفظ الخلاف سرّاً.

وعلى الزوج "وقاية زوجته من النشوز، بمعاملتها معاملة حسنى وفهم القوامه في الأسرة، وعليه علاج بؤادر النشوز بالنصح، الذي لا ينقص من قدر المنصوح ويهجر في المضاجع هجراً جميلاً، ويضرب ضرباً خفيفاً، إذا لم تكن قد نشزت فعلاً، وكان قادراً على ضبط نفسه وإصلاح أمرها، والأولى ألا يضربها خاصّة إذا كانت الزوجة متعلمة أو راشدة، لها مركزها، لن مساوئ الضرب كثيرة على التفاعل الزوجي والتوافق بينهما¹. والزوجة مسئولة عن وقاية زوجها من الإعراض عنها، والنشوز عليها بالاهتمام بنفسها وبواجباتها الزوجية، ومسئولة عن علاج بؤادر الإعراض والنشوز بسعة صدرها، ورجاحة عقلها، والتفاهم معه بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبالتالي فتتبع هذه المراحل لعلاج الخلافات تمكن الزوجان بمراجعة نفسيهما وتحمل مسؤولياتهما دون إدخال أي طرف آخر إلا عند طرف آخر مما يساعد على سرعة علاج الخلافات، التخفيف من الضغوط التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة، بالخلافات الزوجية، منها الضغوط المالية والسكنية والاجتماعية، وضغوط العمل، ومطالب الأهل وغيرها.

¹ مرسي (كمال إبراهيم)، ص 270/269.

كخلاصة بحثنا هذا هي أنّ الإسلام اهتم بالعلاقة الزوجية أكثر من عنايته بأية علاقة إنسانية أخرى، وأهتم بكلّ مرحلة من مراحل هذه العلاقة من الاختيار السليم المبني على أساس الدين والأخلاق الفاضلة، ومن ثم اوجب أن تبنى العلاقة على اتفاق يرضى فيه الزوجان بالاقتران الدائم ويتعهدان على أداء ما فرض الله عليهما من حقوق وواجبات، فاهتم بالعلاقة التفاعلية بين الزوجين من العلاقة العاطفية إلى العلاقة الجنسية، واهتم أيضا بالآزمات الزوجية والكيفية التي يتم بها تقوية التفاعل الإيجابي بين الزوجين، والوقاية من التفاعل الزواجي السلبي، وتشجيع التوافق الزواجي الإيجابي، والمبادرة إلى علاج الخلافات الزوجية قبل أن يزداد خطرهما، ولم يكتف بذلك بل أضاف إلى الدوافع الدنيوية دوافع دينية يسمو بهذا التفاعل إلى أرقى المستويات.

المراجع المعتمدة بالعربية:

1. آبادي (الفيروز) ، مجد الدين، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت ، 1998.
2. ابن خلدون ﴿عبد الرحمن﴾، المقدمة، القاهرة، مطبعة عبد الرحمن، دون سنة.
3. النجار ﴿عبد المجيد﴾، فقه التدين، الجزائر، منشورات قرطبة، 2006.
4. العبي (بختي): التربية العائلية في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1991.
5. الخولي (البهي) ، الإسلام، وقضايا المرأة المعاصرة، الإتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ، الكويت، 1980.
6. النجحي (محمد لبيب)، الأسس الاجتماعية للتربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965 ،
7. بيومي (محمد أحمد)، علم الاجتماع الديني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.
8. بيومي ﴿محمد أحمد﴾، علم الاجتماع الدين ومشكلات العالم الإسلامي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2000.
9. بدوي (أحمد زكي) ، معجم ومصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي عربي، بيروت، 1978،
10. بيومي خليل ﴿محمد﴾، سيكولوجية العلاقات الزوجية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1989.
11. محمد الحسن (إحسان، علم الاجتماع الديني، ط1 دار وائل للنشر ، 2005
12. فؤاد عبد الباقي (محمد)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم دار الحديث ، ط1، القاهرة، ، 1996 .

13. رشاد عبد العزيز. علم النفس الاجتماعي، القاهرة، دار عالم المعرفة، 1993.
 14. رحالي (صليحة)، القيم الدينية والسلوك المنضبط، الكشف الإسلامية الجزائرية، نموذجاً: دراسة ميدانية لمدينة المسيلة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الديني، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة باتنة، 2007-2008.
 15. زعيمي (مراد)، علم الاجتماع: رؤية نقدية، مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية، قسنطينة، الجزائر، 2004.
 16. سمية فهمي، الأسس النفسية للاتجاه الديني، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، الكتاب السنوي الثاني، القاهرة، 1975.
 17. قباري إسماعيل، أسس البناء الاجتماعي، دراسة وظيفية تكاملية للنظم الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعارف، دون تاريخ.
 18. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: د. عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، دون سنة.
 19. غيث ﴿عاطف محمد﴾، علم الاجتماع الديني، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1999.
 20. شلموت (حمود)، الإسلام عقيدة وشرعة، دار الشروق، ط6، بيروت، 1972.
- الموقع الإلكتروني: المهدي محمد (استشاري الطب النفسي)، أنماط
التدين، (www.Elazayem.com/19.12.2006)
- المراجع المعتمدة بالفرنسية:
1. Robert (Paul), le nouveau petit robert, dictionnaire le robert, Paris, 1996.
 2. Touzard (A), enquête psychosociologique, les rôles conjugaux et structures familiales ,CNRS, Paris, 1967 .